ومهمة كهذه في الظروف المستجدة هي على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة للعملية الثورية خاصة ان انهيار الصيغ الاشتراكية المحققة قد يفتح الباب واسعاً لنقد التجربة وتقييمها ولاعادة النظر بمجمل الطروحات النظرية حولها وحول العملية الثورية وعملية التقدم الاجتماعي برمتها لقد استغلت الاوساط الامبريالية والمعادية للاشتراكية والماركسية ظروف الانهيار ومفاعيله لتسخير المعطيات الموضوعية لمعضلة طروحاتها الايدولوجية، كما صورت انهيار النظام الاشتراكي المحقق باعتباره مبدئياً ونهائياً واعتبرته دليلاً على عجز واخفاق وانهيار الماركسية كنظرية وكمنهج ومن الطبيعي ان تسعى الة الدعاية التضليلية الامبريالية لاذكاء روح الضبابية والفوضى والارباك حول الاشتراكية والماركسية ومصائرهما وان تدفع باتجاه تجميل النظام الرأسمالي وتأييده.. والتأكيد على اعتباره بديلاً للاشتراكية المنهارة ونموذجاً يحتذى به في الحرية والديمقراطية ونمط الحياة والتقدم. فهل صحيح ان الاشتراكية سقطت كفكرة وكخيار وان النظرية الماركسية مأزومة بنيوياً وهل الازمة هي ازمة في النظرية ام هي في التطبيق ام في كليهما. وهل صحيح ان النظام الرأسمالي هو بديل النموذج الاشتراكي المنهار وهو خيار البشرية ومن البديهي القول ان السؤال حول الازمة وما اذا كانت ازمة في النظرية ام في التطبيق ام في كليهما معاً يشكل مدخلاً ملائماً وصحيحاً من ناحية منهاجية للاجابة على بقية الاسئلة، وبهذا الصدد تباينت وتعددت ازاء المجتهدين الماركسيين في الاجابة على هذا السؤال. ويمكننا تمييز فريقين اساسيين على هذا الصعيد. الاول الذي ذهب الى حد القول بأن النظرية مأزومة، والثاني الذي صب جام غضبه على التطبيق باعتباره مشكلة المشاكل وفي اطار هذين الفريقين نستطيع ان نلاحظ العديد من التلاوين والاجتهادات المتباينة ففي اطار الفريق الاول انبرى البعض للتأكيد بأن الازمة هي في جوهر النظرية الماركسية، بينما رأى اخرون انها لا تمس الا بعض المفاهيم والمقولات والطروحات النظرية، وفي اطار الفريق الثاني اقتصر نقد البعض على تجربة البناء الاشتراكي في عهد ستالين واعتبره مصدر المصائب جميعها، في حين عظم اخرون النقد ليطلى تبرير ثورة اكتوبر نفسها وكل تجربة البناء الاشتراكي والحركة الشيوعية في العالم بأسره.

ونحن في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين معنيون بهذ الطروحات، فمن موقع الاسترشاد بالفكر الماركسي والانحياز له. نحن حريصون كل الحرص على وضوح الموقف مما هو مطروح وتبيان الحقيقة. لكننا لسنا مع التسرع في اتخاذ المواقف دون تمحيص ودراسة عميقة. لذا فاننا نقدم وجهات النظر المطروحة جميعها. ونعتبر تفاعلها وتبادل الرأي بشأنها بعقل مفتوح وعلمية وديمقراطية هو الطريق الاسلم، من اجل الخروج من حالة التساؤل والتشكك والضبابية الفكرية وصولاً الى اعادة الاعتبار للفكر الماركسي وتجديده، والتخلص من اية انحرافات او افكار مريضة انتجتها او نتنتجها حالة الانهيار والازمة والاشكاليات المطروحة.

وانطلاقاً من هذه الرؤية فاننا ندعو الماركسيين الفلسطينيين والعرب وكل حملة الفكر الاشتراكي والمناضلين من اجل التقدم الاجتماعي والتحرر الانساني ومجتمع العدالة والمساواة، ندعوهم جميعاً لتعزيز التفاعل الديمقراطي والجدل العلمي، ولتبادل الرأي والبحث الجاد في اشكاليات الفكر والنظرية والتطبيق على طريق التجديد الثوري للخروج من الازمات ومواجهة التحديات على كافة الصعد.

ويرى حزبنا ان المنهج العلمي في بحث هذه القضايا يستدعي معالجة نقدية وملموسة وموضوعية بعيداً عن اية قوالب جامدة وعن اية سلطة الا سلطة العقل والمنطق والجدل الموضوعي والحقائق العلمية، وان بحثاً كهذا هو بحث في التاريخ في الماركسية والاشتراكية والتقدم الاجتماعي والتحرر الانساني. وهو ما يتطلب قراءة نقدية جديدة للماركسية تعيد انتاج الادراك النقدي الماركسي ذاته لدراسة الاشتراكية والفكر الاشتراكي. والكشف عن اسباب وعوامل الخلل في الممارسة والتطبيق. والوقوف على التطورات والظواهر الجديدة في العالم المعاصر وصولاً الى صياغة الاستخلاصات والاستنتاجات والتعميمات النظرية والفكرية- السياسية. التي تؤسس للتجديد الثوري المطلوب.

الماركسية منهج حي وليست عقيدة جامدة

لم تكن نشأة الماركسية في اواسط القرن التاسع عشر بداية الفكر الانساني التقدمي، ولم تدع لنفسها انها نهايته وختامه. فقبل نشأة الماركسية عرفت البشرية وابدعت حصيلة واسعة وغنية من الافكار والنظريات والعلوم في شتى المجالات، شكلت تراثاً لأي ابداع مادي او روحي في مسار الحضارة الانسانية المتطورة في المجرى التاريخي لها وزينة كل ما هو انساني وتقدمي وايجابي وعلمي فيه وبعبارة اخرى فقد شكلت الماركسية نتاجاً طبيعياً لتطور فكر البشرية. ولذا فهي - كما قال لينين حقاً- ليست انعزالية.. ليست عقيدة جامدة. بل فكراً حياً ومبدعاً حيث اعطت الردود على المسائل التي طرحها فكر البشرية التقدمي (الذي سبقها) فنشأت كاستمرار مباشر وصريح لتعاليم اعظم ممثلي الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية، وكان عليها كي تتطور ان تعطي الردود على المسائل الجديدة التي يطرحها هذا الفكر وتطرحها الحياة المتطورة باستمرار وان تبقى وريثاً لكل ما يبدعه العقل البشري. وبالفعل استطاعت الماركسية ان تحيا وتتطور وترتقي، بخطى ملموسة واسعة وعديدة من الاراء والافكار والمفاهيم والمقولات والنظريات والمناهج العلمية المنسجمة، التي شكلت بمجموعها نظرة جديدة للعالم وطريقة خلاقة ومبدعة لدراسة وفهم الظواهر والعمليات المختلفة في الطبيعة والمجتمع والفكر الانساني. وبهذا غدت الماركسية سلاحاً جباراً واداة نضالية تغييرية ثورية في ايدي الطبقات والفئات الاجتماعية صاحبة المصلحة في التقدم الاجتماعي وخاصة الكادحين وفي مقدمتهم الطبقة العاملة.

فعلى الصعيد الفلسفي صاغت الماركسية الديالكتيك المادي، الذي شكل ثورة حقيقة في المعرفة والتفكير، واسس لبلورة منهج علمي لا غنى عنه في دراسة وتحليل وتفسير الظواهر والعمليات في الطبيعة والمجتمع والفكر والتأثير عليها. وتميز الديالكتيك الماركسي بعلميته وثوريته ومنطقه الخلاق. مما سمح له بالتجلي كوحدة عضوية متناغمة بين والجدلي والتاريخي فاكتسب وجوده الملموس في الفهم المادي للتاريخ وبهذا اصبح قادراً على الكشف عن القوانين الموضوعية لعملية انتاج واعادة انتاج الحياة الاجتماعية وقوانين تطور التاريخ البشري ودور الجماهير الحاسم فيه. وكذلك تبيان جدل العلاقة بين مستوى تطور القوى المنتجة وعلاقات الانتاج، والتي على اساسها تحدث الثورات الاجتاعية ناقلة المجتمع من تشكيلة الى اخرى.